فلسفة الذات عند إقبال:

سبق أن عرضنا لموقف إقبال من التراث الفلسفي السابق عليه، واتضح لنا بما لا يدع مجالًا للشك أن «إقبالًا» كان ناقدًا للعديد والعديد من الآراء والأفكار، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أصالة وعمق المفكر.

وها نحن نحاول أن نلقي الضوء على «فلسفة الذات» عند مفكرنا، وكما سبق أن ألمحنا إلى أن «الذات» عند إقبال لها وجهان الذات الناقدة، والذات البناءة الإيجابية.

اعتز إقبال بذاته أيما اعتزاز، و يعرض لفكره الذاتية، في ثنايا شعره، ذكرها أحيانًا مجملة ظاهرة وخفية وحركية ومكنية، وأفاض فيها أحيانًا من الإبانة عنها وموالاة وصفها والتمثيل لها[1].

إن الدارس لفلسفة المفكر الكبير محمد إقبال يجد تأكيدًا على وجود الذات والشخصية الفردية[2].

و إذا كان محمد إقبال قد اهتم اهتمامًا رئيسيًا في مؤلفاته ورسائله بقضية التجديد، وأنها تتمثل في الذاتية، كما أن بداية التفكير نحو قدرة الله في - ذات الإنسان، فمن عرف نفسه فقد عرف ربه، لقد أراد محمد إقبال أن يبدأ الطريق من ذاته بحيث ينطلق إلى الله تعالى فالله غاية الغايات ومنتهى الآمال[3].

(1) انظر: د. عبد الوهاب عزام: محمد إقبال ص75.
(2) د. عاطف العراقي، العقل والتنوير ص189.
(3) نفس المرجع نفس الصفحة.

إذن الذات عند مفكرنا إقبال، هي الذات الخلاقة المبدعة وليست الذات المتقوقعة على نفسها، أو الذات السلبية في نظرتها للكون والحياة، و إنما الذات عنده تتفاعل مع الكون والحياة والإنسان بين مد وجزر وفي شاعرية ملهمة، وعندما تحلق في آفاق الخيال، لم تنس دومًا أنها في عالم الواقع.

ولقد رأى الحقيقة بوضوح وجلاء الأستاذ العقاد في قوله: إقبال أجمل مثال للعمل بين الواقع والخيال، وأنه لهزيل ذلك الرأي الذي يقول إن العمل يستغني عن الخيال، أو أن الخيال من صفات الحالمين، وليس من صفات العاملين العالمين، كلا، لا يستغني العمل عن الخيال، ولا يستغني الخيال عن العمل، فقد كان لكل عمل عظيم خيالًا كبيرًا قبل أن يبرز و يستقر به القرار عن عالم الخيال.[1]

و ينبغي أن نشير إلى أن بعض الصوفية قد تلقوا دعوة إقبال بالاستنكار لمفهوم الذات أو «خودي» وهي كلمة تدل في لغتها الفارسية على الأثرة والعجب، والأنوية وما يتصل بها. وتستعمل كذلك في الأردية، فهي دعوة في الأخلاق منكره و في التصوف أشد نكرًا، وقد نقل إقبال «خودي» إلى معنى ‘خر جعله أصل فلسفته[2].

وعل هذا يكون مقصد الإنسان في هذه الحياة معرفة ذاته وتقويمها، وتنمية مواهبها واستنباط ما في فطرتها، وليس من الخير في شيء إنكار الذات أو إضعافها بل هو الشر كل الشر ولا ينبغي العمل لفنائها ولا الرضا به كما

(1) عباس العقاد: مقال «فريضة إسلامية» ضمن مقالات لكبار الكُتاب، الناشر سفارة باكستان بالقاهرة 1952م، ص40.
(2) د. عبد الوهاب عزام: محمد إقبال ص16.

يفعل الهنادك وصوفية العجم كما يقول إقبال، بل لا تفنى الذاتية في الله تعالى وليس من الخير السعي إلى إفنائها فيه[1].

الذات وموقفها الإيجابي من الحياة:

آمن إقبال بشخصيته أشد ما يكون الإيمان، ولكنه لم يكتف بأن يؤمن بنفسه، ثم يكتفي بهذا الإيمان قانعًا زاهدًا في إحياء هذه الشخصية في الناس جميعًا، وإنما كان إيجابيًا. كان حريصًا أشد الحرص على أن يؤمن بنفسه، وأن يحمل الناس على أن يؤمنوا به، أن يؤمن بشخصيته ويحمل الناس، لا في باكستان وحدها، ولا في العالم الإسلامي وحده، بل في العالم الإنساني كله.

آمن بأن له وجوده الفردي الخاص، وبأن هذا الخير الذي يذيعه في الناس والذي يريد أن يملأ به الأرض يجب أن يصدر عنه هو من حيث إنه فرد مستقل كائن خاص ممتاز عن غيره، يريد الخير ويصدر مريدًا عامدًا لا كما يصدر الضوء عن السراج دون أن تكون للسراج فيه إرادة، بل كما يصدر الضوء والنور عن الله، لأن الله يريد أن يملأ الأرض وأن يملأ العالم ضوءًا ونورًا.[2]

والذات عند إقبال لها الدور الإيجابي في الوجود والحياة ولكن هناك العديد من العقبات التي تعترض طريقها، وأشد العقبات في طريق الذات المادة أو الطبيعة، ولكن هذه الطبيعة ليست شرًا كما يقول حكماء الأشراق، بل هي تعين الذات على الرقي.

(1) نفس المرجع: نفس الصفحة.

(2) عباس العقاد: مقال «فريضة إسلامية» ضمن مقالات لكبار الكُتاب، الناشر سفارة باكستان بالقاهرة 1952م، ص40.